أثر مجمعي: نيقية والقسطنطينية على عقيدة التثليث عند النصارى

إعـــداد

د. يوسف بن علي الطريّف

رئيس قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

أستاذ مساعد في كلية الشريعة بجامعة القصيم

مقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد؛ خاتمِ النبيين، وسيدِ المرسلين، المبعوثِ إلى الناس أجمعين، الداعي إلى توحيد رب العالمين. وأشهد أن عيسى ابنَ مريمَ ﷺ عبدُ الله، ورسولُه، وكلمتُه ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه.

أما بعد:

فإن الديانة المسيحية تعدُّ اليوم من أشهر الديانات في العالم، حيث يدين بها ـ ولو بالاسم ـ مئات الملايين من الناس، مع ما لحق بهذه الديانة من التحريف والتبديل ما فاقتْ به كثيراً من الديانات، وكان أكبر تحريف لها نقلها من التوحيد الخالص؛ الذي دعا إليه نبي الله عيسى ﷺ، إلى الشرك الصارخ؛ المتمثل بعقيدة التثليث!

ويكتنف هذه العقيدةَ الغموضُ، وفهمُها يعيي العقولَ؛ حتى على معتنقيها!حيث جمعوا فيها بين المتناقضات؛ فجعلوا التثليث شركاً في توحيد، وتوحيداً في شرك...!!

وتعتبر المجامعُ المسيحيةُ ـــ التي تسمى (المجامعَ المسكونيةَ) ـــ [1] من أخطر العوامل والأسباب التي أوصلت الديانة المسيحية بعقائدها وأفكارها إلى الانحراف العقديِّ الخطير في تاريخها الطويل؛ وتضفي المجامع على قراراتها طابع الرسمية بالقوة والتحكُّم.

---

(١) تسمى (مسكونية) إذا حضرها ممثلون من جميع الكنائس في العالم، وبذلك تكون قراراتها شاملةً لجميع الكنائس، ويتم من خلالها مناقشة مسائل عقدية تتعلق بالديانة المسيحية، التي جرى فيها الخلاف، وكثر حولها الجدال، فيجتمع رموز علماء الديانة، لحسم الخلافات ومحاولة الاتفاق حول المسائل التي وقع فيها النزاع، ومن ثم تعميم الأمر على الكنائس المختلفة...

والمجامع الكنسية على نوعين:

مجامع مسكونية: إذا كانت تشمل ممثلي الكنائس في العالم.

ومجامع إقليمية أو محلية: وهي التي تُعقد في الإقليم وتجمع أساقفة وقسوس كنيسة ذلك الإقليم.

ويختلف المؤرخون في عدد المجامع المسكونية فبعضهم يقول: إنها سبعة. وآخرون يقولون: إنها ١٩ مجمعاً .وكما أن المؤرخين يختلفون في عددها هكذا تختلف الكنائس في الاعتراف بها، والانصياع لقراراتها.انظر: دائرة معارف الدين، المجلد الرابع، ص ١٢٥، مادة "المجامع المسيحية".وعنه: د.عرفان عبدالحميد "النصرانية" ص٨١-٨٢، وانظر: الشيخ محمد أبوزهرة "محاضرات في النصرانية"ص١٢٤.

ولما كان لمجمع نيقية، ومجمع القسطنطينية؛ أعظم الأثر، من بين سائر المجامع المسكونية؛ فيما يتعلق بعقيدة التثليث؛ حيث رعتها وطوّرتها، وحمتها، وهاجمت من أنكرها وعارضها؛ فإن من الجدير بالاهتمام؛ دراسةَ ما تقرر في ذينك المجمعين، وتحليله تحليلاً علمياً موضوعياً، وبيان مدى تأثير تلك القرارات على الديانة المسيحية.

مشكلة البحث:

المشكلة التي يعالجها هذا البحث؛ هي: دراسة ما تقرر في المجمعين الخطرين: مجمع نيقية، ومجمع القسطنطينية؛ حول عقيدة التثليث عند النصارى، وما أثر ذلك على تلك العقيدة.

وجعلت عنوان البحث:

أثر مجمعي نيقية والقسطنطينية على عقيدة التثليث عند النصارى

أسباب اختيار الموضوع:

وقع اختياري على موضوع البحث؛ للأسباب التالية:

١- خطورة ما تقرر في مجمعي نيقية والقسطنطينية؛ حول عقيدة التثليث.

٢- أن عقيدة التثليث أهم أركان الإيمان عند جمهور المسيحيين، و" بدون الإيمان بهذه العقيدة؛ فإن مسيحية المسيحي لا تكتمل، بل تكون ناقصةً؛ تماماً كالمنضدة ذات ثلاثة أرجل". (1)

يقول أحد الباحثين المسيحيين: "إن عقيدة الثالوث؛ أعظم العقائد المسيحية أهميةً، وأساسها كلها؛ لأنها تتصل بذات الله حسبما أعلن لنا نفسه في كتابه، فمعرفتها هي معرفة الله، والإيمان بها هو الإيمان بالله، ومن يجهلها يجهل مولاه، ومن ينكرها ينكر الله.. " (٢)

ويقول مسيحي آخر: " إن الثالوث الأقدس هو دعامة إيمان المسيحيين، وهو في شرعهم وعرفهم أشهر من نار على علم... ". (٣)

٣- إثبات كون عقيدة التثليث؛

(١) علي خان جومان (الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمة البشر) ترجمة: رمضان الصفناوي ص١١٣.

(٢) توفيق جيد (سر الأزل) ص٧

(٣)يس منصور (رسالة التثليث والتوحيد) ص١٥٦وعنه:محمد الطهطاوي(النصرانية والإسلام) ص ١٣، ١٤.

عقيدةً حادثةً، مبتدعةً، لم تظهر إلا في نهاية القرن الثاني من ميلاد المسيح، واستحكمت في الربع الأول من القرن الرابع الميلادي، مما يدل دلالةً واضحة على أن عيسى ﷺ، إنما دعا إلى التوحيد الخالص.

٤- بيان خطر المجامع المسكونية على الديانة المسيحية، والتي كان أشدها أثراً على الإطلاق المجمعان محل الدراسة: مجمعُ نيقية، ومجمعُ القسطنطينية. حيث استكملت فيهما (عقيدة التثليث) أخطر عقائد هذه الديانة على الإطلاق.

٥- أن عقيدة التثليث من العقائد التي فُرضت على معتنقي الديانة المسيحية؛ بالقوة السُّلطوية، والدينية، ولم تحظ باقتناع جميع المسيحيين، حتى الآن.

٦- ظهور الاعتراض على عقيدة التثليث منذ نشأتها، على أيدي من عُرفوا بالموحدين من النصارى.

الدراسات السابقة:

راجعت كثيراً من المصادر التي تحدثت عن عقيدة التثليث، ولا يكاد يخلو مؤلَّفٌ في الديانة المسيحية من ذكر هذه العقيدة.

لكن المقصود هنا محاولة استيعاب ما ذكرته تلك المصادر وغيرها عن: أثر مجمعي نيقية والقسطنطينية على عقيدة التثليث، فهذه الجزئية لم أجد فيها بحثاً مستقلاً.

منهج البحث:

اتبعت المنهج التحليلي الاستقرائي، كما اعتمدت على المنهج التاريخي الوصفي.

وقد كان من منهج الباحث المقارنة بين مرحلتين مرت بهما عقائد المسيحية.

وحاول الباحث الاعتماد في نقل ما يتعلق بالعقيدة المسيحية على ما كتبه المسيحيون أنفسهم، مع التركيز على الكتب المعاصرة، فإن لم أجد فعلى ما نقله عنهم الباحثون المسلمون؛ مع توثيق ذلك كله.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وأربعةِ فصولٍ، وخاتمةٍ.

التمهيد: بداية التدخل البشري في الديانة المسيحية، خاصة ما كان منه على يد (بولس) (لمحة موجزة)

الفصل الأول: عقيدة التثليث عند النصارى، وفيه مباحث:

المبحث الأول: تعريف التثليث، وحقيقته.

المبحث الثالث: منشأ القول بالتثليث.

المبحث الرابع: موقف المسيحيين من عقيدة التثليث.

الفصل الثاني: مجمع نيقية، وعلاقته بعقيدة التثليث.

المبحث الأول: التعريف بمجمع نيقية

المبحث الثاني: سبب انعقاد المجمع

المبحث الثالث: قرار المجمع بشأن عقيدة التثليث.

الفصل الثالث: مجمع القسطنطينية، وعلاقته بعقيدة التثليث.

المبحث الأول: التعريف بمجمع القسطنطينية

المبحث الثاني: سبب انعقاد المجمع

المبحث الثالث: قرار المجمع بشأن عقيدة التثليث.

الفصل الرابع: المقارنة بين ما تقرر في المجمعين، حول عقيدة التثليث.

المبحث الأول: النتيجة التي أقرها مجمع نيقية حول مسألة الثالوث المقدس.

المبحث الثاني: النتيجة التي أقرها مجمع نيقية حول مسألة الثالوث المقدس.

المبحث الثالث: المقارنة بين النتيجتين.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.

الفهارس: فهرس المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات.

****

تمهيد

بداية التدخل البشري في الديانة المسيحية خاصة على يد (بولس)

لا يشك مسلم في أن العقيدة التي بُعث بها عيسى عليه السلام هي عقيدة التوحيد؛ توحيد الله تعالى بربوبيته والوهيته وأسمائه وصفاته، وأنه تعالى لا شريك له، ولا كفء، ولا نظير، فنبي الله عيسى عليه السلام بُعث رسولاً إلى بني إسرائيل بالدعوة إلى التوحيد؛ التي هي دعوة جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام..

ولقي عليه الصلاة والسلام من قومه أشد البلاء، وكان من أعظم الناس عداوةً له، وإنكاراً لنبوته (جماهير اليهود) الذين نكلوا به وبأصحابه، واستعدوا عليه الحاكم الروماني؛ حتى أمر بقتله...ولم يؤمن به من قومه إلا القليل.

كما كان حواريوه وتلاميذه كلهم على التوحيد الخالص، وحينئذ يرد سؤال مهم للغاية؛ وهو: كيف وصلت الديانة المسيحية إلى هذا الانحراف الكبير والخطير، وانتقلت من التوحيد إلى الشرك، ومن اعتقادها بأن السيد المسيح إنسان اصطفاه الله بالنبوة؛ إلى القول بأنه ابن الله...؟

إنه التدخل البشري في العقائد التي نزل بها المسيح عليه السلام؛ وكان أعظم تدخل وقع على يد رجل اسمه: (شاؤل) طرسوسي الولادة، أورشليمي المنشأ..

وكان (شاؤل) هذا يهودياً فريسياً، يقول ــ كما في (أعمال الرسل ٢٣ : ٦): "أنا يهودي فريسي بن فريسي على رجاء قيام الأموات" لكن جاء في (أعمال الرسل: ٢٢ : ٥) قوله ــ لما مدّه جلادُ الرومان للسياط ــ: "أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً غير مقضي عليه..."!

وهذان النصان متعارضان، لكن الأرجح أنه يهودي، وأن قوله بأنه روماني كان حيلة لينجو من التعذيب[(١)].

ولم يكن هذا الرجل من حواري المسيح ولا من تلاميذه؛ بل إنه لم ير المسيح ولم يسمع منه، وكان شديد التعصب ضد كل من آمن بدعوة المسيح

---

(١) محمد أبو زهرة: "محاضرات في النصرانية" ص٧٣.

عليه السلام، ويشارك بقوة في تصفيتهم وإتلافهم، والتنكيل بهم؛ وهو يعترف بهذا كله، فيقول — كما في (غلاطية ١ : ١٣) — : " سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية، إني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي... "، ويقول (لوقا) صاحب الإنجيل المعروف — عنه في (أعمال الرسل ٩ : ١): " وكان شاول راضياً بقتل المسيحيين، وكان يسطو على الكنيسة ويدخل البيوت، ويجر رجالاً ونساءً ويسلمهم إلى السجن، ولم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب. "!!

هكذا كان (شاول) اليهودي مع أتباع السيد المسيح عليه السلام. ولكن فجأةً يتحول (شاول) من عدو سفاح؛ إلى رسولٍ وداعيةٍ!! ويسمى: (بولس الرسول).

وعن قصة تحوله المفاجئ يقول (لوقا) في (أعمال الرسل ٩ : ٣-٢٠): " وعندما كان بولس قريباً من دمشق، فبغتةً أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض، وسمع صوتاً قائلاً له: شاول شاول لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي تضطهده. فقال — وهو مرتعد ومتحير —: يارب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له: قمْ وكرِّز بالمسيحية... " ويضيف (لوقا): " وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح؛ أن هذا هو ابن الله".

ومن هنا بدأ التحول الخطير في الديانة التي جاء بها المسيح عليه السلام، حيث لم يُعرف أن أحداً دعا بأن المسيح ابنُ الله، وكان ذلك في حدود سنة ٣٨م.

أعلن (بولس) دخوله في ديانة المسيح وأصبح معلماً لها، فجأةً من غير تمهيد، وعن كيفية تعلمه لهذه الديانة يقول — كما في (غلاطية ١ : ١١-١٢): " وأعرِّفكم أيها الإخوة، الإنجيل الذي بُشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته، بل بإعلان يسوع المسيح. "!!

فواعجباً يترك المسيحُ حوارييه وتلاميذه، ويبشر بالإنجيل ألدَّ أعداء دينه وأتباعه.!!

نعم زعم (بولس) أنه تلقى تعاليمه من المسيح مباشرةً؛ مع أنه لم ير المسيح ولم يسمعه!! وحاول أن يتصل بتلاميذ

المسيح، ولكنهم أوجسوا منه خيفةً، ولم يصدقوا إيمانه؛ حتى شهد له (برنابا) بالإيمان، كما جاء في (أعمال الرسل ٩ : ١-٣١) ما نصه: " ولما جاء شاول حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل، وحدثهم كيف أبصر الرب، وأنه كلمه، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع. ".

واصطحب (بولس) برنابا في رحلاته، حتى اختلفا ففترقا...وأنكر برنابا على بولس ادعاءه بنوة المسيح، كما ذكر ذلك في إنجيله[١].

لكن بولس مضى في طريق دعوته، وكان من تلاميذه المخلصين له (لوقا) أحد كتاب الأناجيل الأربعة، فقد آمن لوقا برسالة بولس المزعومة وأخلص لها، ولم يعرف سواها، وكتب (رسالة أعمال الرسل) التي سطر فيها تعاليم بولس[٢].

دخل (بولس) في المسيحية حين كادت أن تختفي دعوة المسيح، وصار يصرح بأنه المؤتمن على المسيحية الصحيحة، وصار يُعدُّ — عند جمهور المسيحيين — بأنه المؤسس الحقيقي للمسيحية.

وقام (بولس) يعلن ديانةً جديدة استمدها من ثقافات أجنبية كان على علم بها، وبدأ بتعليم الناس تعاليم لم يتفوه بها المسيح عليه السلام؛ وكان قد أخذ أشياء من الديانة اليهودية التي كان يدين بها حتى يستميل عوام اليهود، وأدخل صوراً من الفلسفة الإغريقية ليجتذب أتباعاً له من اليونانيين... وقد قامت أصول دعوته على:

١— أن دعوة المسيح عليه السلام دعوة عالمية ليست خاصة لبني إسرائيل.

٢— القول بألوهية المسيح والروح القدس؛ وبذر فكرة التثليث.

٣— أن عيسى جاء ليكفر خطيئة البشر.

٤— أن عيسى عليه السلام قام من الأموات وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه ليحكم ويدين البشر[٣].

(١) إنجيل برنابا — مقدمة الإنجيل (٣-٧).

(٢) المصدر السابق ص ٧٥، و: د. أحمد شلبي: "المسيحية" ص ١٠٦-١٠٧.

(٣) المصدر السابق ص ١١٠.

وكانت هذه الأصول التي كرس (بولس) دعوته لها، هي بداية التدخل البشري الرهيب في الديانة السماوية التي بعث بها عيسى عليه السلام، وقد وجد ذلك صراعاً كبيراً من المسيحيين الحقيقيين، وامتد قروناً بعد وفاة بولس، وكان يقف بجانب بولس كثير من العوام، أما أنداده فكان يقف إلى جانبهم كثير من علماء الديانة المسيحية وقليل من العوام، وكان حكام تلك الوقت لهم ميول إلى أفكار بولس؛ التي برزت بقوة في القرن الرابع الميلادي...

فقد كان من أعظم أنصار بولس في دعوته (لوقا) و (يوحنا) صاحبا الإنجيلين المعروفين، وقد هاجم الاثنان كلَّ من خالف تعاليم بولس...!!

ومن المؤكد أن المناهضين للدعوة البولسية قد كتبوا وحذروا ووعظوا لكن وقع لما فعلوه مثل ما وقع للإنجيل الرباني الذي أنزله الله على نبيه عيسى عليه السلام؛ من التضييع والإهمال أو التبديل والتحريف...والعجيب أن المسيحيين لا يبيِّنون ممن تعلم (بولس) دين المسيح، وما ذاك إلا لاعتقادهم بأنه تلقاها من الوحي الذي كفاه مؤونة التعلم والدرس...!! حيث انتقل من كافر مناوئ إلى رسول مصطفى يحمل إلهامات لهذه الديانة، فصار ملهماً ينطق بالوحي.

وبقي كثير من المسيحيين في ذلك الوقت حائرين بين تعاليم بولس ومؤيديه، واعتراضات المخالفين لدعوته، حتى انعقد أول المجامع الكبرى في التاريخ النصراني وهو (مجمع نيقية) وما بعده من المجامع والذي فُصل فيها في هذه القضية وقضايا أخرى، وصار التأييد فيها لجانب أفكار بولس المبتدعة، ودُرست تعاليم عيسى عليه السلام، وآثار حوارييه وتلاميذه من بعده؛ وأصبحت المصادر المعتمدة لدى النصارى حتى يومنا هذا، أكثرها من عمل بولس ومريديه؛ وكان بولس أحياناً ينسب أقواله وأفكاره إلى السيد المسيح عليه السلام!!

وبالجملة فقد ابتدع بولس ديناً جديداً سماه بـ (المسيحية) نسبةً إلى المسيح عيسى عليه السلام، وحوَّلها من ديانة خاصة ببني إسرائيل إلى ديانة عالمية، ونقلها من التوحيد إلى التثليث، وقال بألوهية المسيح وألوهية الروح

القدس، واخترع قصة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر...

وهكذا " صارت المسيحية الحاضرة مطبوعة بطابعه، منسوبة إليه، ولقد يعجب الذين درسوا الديانات وعرفوا أحوال رجالها، وأدوارهم، فيقولون: كيف ينتقل رجل من كفر بديانة إلى اعتقاد شديد بها طفرةً من غير سابق تمهيد، ولكن ذلك العجب يزول إن كان الانتقال مقصوراً على مجرد الانتقال من الكفر إلى الإيمان، فإن لذلك نظائر وأشباهاً؛ بل العجب كل العجب أن ينتقل شخص من الكفر المطلق بدين إلى الرسالة في الدين الذي كفر به، وناوأه وعاداه، فإن ذلك ليس له نظير وليس له مشابه، ولم يعهد ذلك في أنبياء ورسل قط، وهذه توراة اليهود وأسفار العهد القديم التي يؤمن بها المسيحيون كما رووها، وكما قالوها ليذكروا لنا رسولاً بعث من غير أن يكون في حياته الأولى استعداد لتلقي الوحي، وصفاء نفس يجعله أهلاً للإلهام؟ ولا يجعل التهام والتكذيب يغلبان على رسالته، وأنه إذا لم يكن للرسالة إرهاصات قبل تلقيها لا يكون ــ على الأقل ــ قبلها ما ينافيها ويناقضها، ولكن بولس أبو العجب استطاع أن يتغلب على ذلك العجب في عصره، وأن يفرض نفسه على المسيحيين من بعده، وأن يحملهم على نسيان العقل عندما يدرسون أقواله وآراءه وتعاليمه[1] ".

ويرى كثير من الباحثين أن الذي دفع (بولس) إلى هذا التحريف الخطير هو عداوته الكامنة للمسيح وأتباعه، فتظاهر بالدخول في دين المسيح حتى يتمكن من هدمه وإفساده، وهو ما وقع بالفعل[2].

"وفي رأي عامة الباحثين المعاصرين أن (بولس) كان المسؤول الأول عن نقل العيسوية اليهودية، إلى ما صار تعرف في التاريخ بالمسيحية، وأنه تحت تأثيرات خلفيته الهللينستية ورغبة منه في الخروج بدعوة السيد المسيح عليه السلام عن إطارها القومي واليهودي، ورجاء دعوة الأغيار للدخول فيها، قد أجرى تغييرات في الدعوة العيسوية المشدودة إلى شريعة العهد القديم تسهيلاً لاعتناق الوثنيين لها

---

(١) المصدر السابق ص٧٧.

(٢) د. أحمد شلبي "المسيحية" ص١٢٤.

من غير اليهود"(١).

هكذا انتقلت الدعوة العيسوية الموحدة إلى الشرك المتمثل بعقيدة التثليث، والتي ألقى بذورها (بولس) فتلقفها عنه القديسون ورجال الكنائس المسيحية، ونافحوا عنها، حتى أصبحت فيما بعد عقيدة عامة النصارى، مع وجود صراع شديد بين أتباع بولس، والموحدين كآريوس وأتباعه، مما دفع الحاكم الروماني في القرن الرابع الميلادي أن يأمر باجتماع موسع لحل هذه القضية.

فما عقيدة التثليث التي لم ينته خلاف النصارى حولها؟ وكيف استطاع الحاكم الروماني ترسيخ هذه العقيدة، وإنهاء كثيرٍ من النزاعات حولها؟ وما أهم المجامع الكنسية التي عقدت من أجلها؟ وما أهم قراراتها؟

هذا ما سنبينه في هذا البحث بإذن الله تعالى.

(١) د. عرفان عبدالحميد، "النصرانية" ص٤٦-٤٧.

الفصل الأول:
التثليث عند المسيحيين
(لمحة موجزة)(٢)

المبحث الأول:

تعريف التثليث، وحقيقته عند المسيحيين:

التثليث؛ أو (Trinity) معناه: إثبات الإلهية لثلاثة؛ هم: الآب، والابن، وروح القدس. فالآب هو: الله ﷻ. والابن هو: عيسى ﷺ. والروح القدس هو: روح الله.

ويُعبِّر المسيحيون عن عقيدة التثليث ـــ أحياناً ـــ بـ (الثالوث) أو (الثالوث الأقدس) (The holy Trinity).(٣)

والثالوث في لغات المسيحيين

(٢) لم أرد في عقد هذا الفصل أن أذكر كل ما يتعلق بعقيدة التثليث، فهذا أمر يطول، ويخرج بالبحث عن مقصوده، فعقيدة التثليث أفردت فيها كتب كثيرة، سواء لباحثين مسلمين أو لباحثين مسيحيين، وإنما المراد هنا التعريف بهذه العقيدة بإيجاز، كمدخل للدراسة تأثرها بالمجامع المسكونية المقدسة عند المسيحيين.

(٣) Oxford Study DICTIONARY 1141.

المتعددة يعني: اتحاد ثلاثة أشخاص للألوهية؛ الإله الآب، والإله الابن، والإله الروح القدس، وكل واحد من الثلاثة يسمى: (الله).(١)

وهؤلاء الثلاثة كانوا أقانيم متمايزة، ولكنهم ليسوا واحداً، وهم متساوون في اتحاد المادة والجوهر....!!.

ومن أوضح ما رأيت في تفسير حقيقة التثليث عند المسيحيين ما ذكره الدكتور محمد مجدي مرجان ـــ الذي أسلم بعد أن كان مسيحياً شماساً ـــ بقوله: "يرى فلاسفة المسيحية أن الله ﷻ يتكون من ثلاثة أقانيم، أي ثلاثة عناصر أو أجزاء، وهذه الأقانيم أو العناصر الثلاثة هي: الذات، والنطق، والحياة.

فالله موجود بذاته، ناطق بكلمته، حي بروحه. وكل خاصية من هذه الخواص أو العناصر ـــ التي يتكون منها (الله) ـــ تعطيه وصفاً معيناً أو مظهراً خاصاً فإذا تجلّى بصفته ذاتاً سمي: (الأب)، وإذا نطق فهو: (الابن)، وإذا ظهر كحياة فهو: (الروح القدس)....!!.

والأقانيم: كلمة سريانية الأصل، تعني: شخص أو كائن مستقل بذاته. ويرى الأب: هنري بولاد: "بأن الكنيسة رفضت استخدام كلمة "شخص"، لأنّ هذه الكلمة قد توحي لبعض الناس بكائن بشريّ له حدوده وشكله وملامحه. فتحاشيًا لكلّ تصوّر خاطئ ولكلّ تحديد للأشخاص الإلهيّة، لجأت الكنيسة إلى كلمة غير عربيّة، مصدرها سريانيّ. وقد استخدمت كلمة أقنوم في اللاهوت المسيحيّ للإشارة إلى الأشخاص الإلهيّة الثلاثة، وهي لا تستخدم في أي مجال آخر غير هذا المجال!!".(٢)

وبعد أن قام أصحاب الثالوث بتقسيم الله إلى ثلاثة أقسام، وبعد أن قاموا بجعل الله الواحد ثلاثة آلهة. قاموا بتوزيع الأعمال والوظائف الإلهية بين هذه الآلهة الثلاثة... فالله (الآب) يُنسب إليه الخلق والتبني والدعوة، أما الله (الابن) فيُنسب إليه فداءُ البشرية وغفرانُ الخطايا والذنوب، أما الله (الروح القدس) فيُنسب إليه منحُ الميلاد

(١) انظر: علي خان مرجان (لغز الثالوث المقدس) ص١٩٧.

(٢) في كتابه (منطق الثالوث) ص٢٣.

الثاني والحياة الطاهرة للبشر وتقديس النفوس ...!!

ومعنى ذلك أن الله (الآب) لا يستطيع غفران الذنوب، وأن الله (الابن) ليس من اختصاصه تقديسُ النفوس، وأن الله (الروح القدس) لا يملك الخلق!!...هكذا لا يرفع الإنسان وجهه لله إلا وهو ينظر إليه بعقل موزع بين هذه الأقانيم الثلاثة ... ويناجي كلَّ أقنوم مناجاةً خاصة، ويختص كل إله بدعاء وصلاة مقصورة عليه...!!"[1]

(1) د. محمد مجدي مرجان (الله واحد أم ثالوث) ص ٩ — ١٠ وانظر: أبا رائطة التكريتي المسيحي (الثالوث المقدس) ص ٧٧ ، ٨٧، تحقيق: سليم دكاش، وانظر: ثروت سعيد (حقيقة التجسد) ص١٢٩-١٣٤، ١٧٣-١٧٤، و: جوش ماكدويل (حقيقة لاهوت يسوع) ص١٤، و: القس جيمس أنس (علم اللاهوت) ص١٦٥-١٦٦، و: يس منصور (التثليث والتوحيد) ص١٥٦، و: القس توفيق جيد (سر الأزل) ص١٧، ٥١، و: د. أحمد حجازي السقا "أقانيم النصارى" ص٣٣.

المبحث الثاني:
منشأ القول بالتثليث.

ذكرنا أن نبي الله عيسى عليه السلام جاء بالدعوة إلى توحيد الله، والتحذير من الشرك، وهذا أمر يعترف به بعض المسيحيين أنفسهم، وكل ما يُذكر من أن الأناجيل فيها أدلة على عقيدة التثليث لا يسلم بها؛ لأن من تُنسب إليهم هذه الأسفار لم يعلموا عن التثليث شيئاً!.[2]

فأول من أدخل تعبير (الثالوث) إلى المسيحية — فيما قيل — ترتليان (٢٠٠م تقريبا)، كما ذكر ذلك (قاموس الكتاب المقدس) وقد خالفه كثيرون من آباء الكنيسة حينذاك، منهم "سبيليوس "وغيره.[3] وقيل: إن الذي بدأ الزعم بالثالوث المسيحي والتجسد، كان (القديس باسيل ٢٧٩-٣٢٩م).[4]

(2) د. محمد مجدي مرجان، "المسيح إنسان أم إله؟" ص١٥٦.

(3) انظر: أحمد عبدالوهاب (طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون) ص ١٠، وعنه: د. منقذ السقار (الله واحد أم ثلاثة) ص ١٥٥.

(4) انظر: علي خان مرجان (لغز الثالوث المقدس) ص١٩٧.

وفي (دائرة المعارف الكاثوليكية) ما نصه: "لم تستقر نظرية التثليث — إله واحد في ثلاثة أشخاص — ولم يعرف الآباء الرسل قبل ذلك شيئاً يشبه من قريب أو من بعيد مثل هذه الفكرة أو هذه النظرية... "[1] وفيها — أيضاً —: "أن كل من يتكلم في التثليث دون أن يكون مؤهلاً لذلك ، إنما ينتقل إلى أحداث الربع الأخير من القرن الرابع، و في هذا الوقت فقط أُدخل ما يسمى بالتثليث إلى المسيحية فكراً وحياة..."[2]

إذاً فعقيدة التثليث لم تظهر إلا بعد رفع المسيح عليه السلام بزمن طويل، فالمسيح برئ من هذه العقيدة الشركية كما قال ربه جل وعلا: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [سورة المائدة ١١٦/٥]

(1) دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة، طبعة ١٩٦٧م، المجلد ١٤ ص ٢٩٥. وعنها: أحمد طاهر في كتابه (الأناجيل — دراسة مقارنة) ص ١١٣، دار المعارف.

(2) المصدر السابق، المجلد ١٤ ص ٢٩٩.

وقال سبحانه — عن عيسى عليه السلام — أنه قال: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} [سورة مريم ٣٠/١٩].

وقد نشأ التثليث في الديانة المسيحية تدريجيا، نتيجةً لما يلي:

— الغلو في شخص المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، حتى التأليه.

— فترات الضعف التي مرت بها المسيحية منذ بعثة المسيح عيسى عليه السلام وتعرضها للاضطهاد، والتنكيل بمعتنقيها.

— مكائد اليهود ومكرهم بعيسى وأصحابه، وتحريضهم على نبي الله عيسى؛ حتى سلطوا عليه الملك الروماني، فرفعه الله إليه، ولم ينالوا منه.

— تأثر الديانة المسيحية بالثقافات والمعتقدات السائدة، التي كانت تحيط بمعتنقي المسيحية، خاصة فيما يتعلق بعقيدة التثليث، فقد وُجد عند بعض الديانات آنذاك الاعتقاد بثلاثة آلهة؛ كالديانة الفارسية، والهندوسية، وكذلك في اعتقاد المصريين القدامى، قبل مجيء الديانة المسيحية.[3]

(3) نقل هذه المقالات: علي خان مرجان في =

وقد أصبحت عقيدة التثليث، من أهم عقائد الديانة المسيحية؛ في أعقاب مجمعين تقرر في الأول منهما تأليه المسيح، وفي الثاني تأليه الروح القدس، وهما: مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية.

=

كتابه: (لغز الثالوث المقدس) ص١٩٦-١٩٧ و(الله واحد أم ثالوث) ص ٦٦-٦٨.

المبحث الثالث:

موقف المسيحيين من عقيدة التثليث.

تورط المسيحيون بهذه العقيدة تورطاً كبيراً، فألزموا أنفسهم باعتقادها بعدما ابتدعوها؛ وعانوا عناءً شديداً في تفسيرها، وأقحموا عقولهم في أمر لا يمكن تفسيره ولا شرحه، ولم يكن ذلك بسبب أنه من عالم الغيب؛ كلا؛ بل لا علاقة له بالغيب، إذ الكلام ليس في كيفية كل إله من الثلاثة، وإنما في جعل الثلاثة واحداً والواحدَ ثلاثة.!!

إنه منطق لا يمكن فهمه، وقول أبعد ما يكون عن بدهيات العقول، إنه منطق يقول ــ بصريح العبارة ــ : ألغ عقلك.

وهاك بعض أقوال قديسيهم وقساوستهم؛ لتتأكد من حيرتهم في هذه العقيدة:

يقول القس دي جروت في كتابه: "التعاليم الكاثوليكية" : "إن الثالوث الأقدس؛ هو لغز الكلمة، والعقل لا يستطيع أن يهضم وجود إله مثلث؟! ولكن هذا ما علمنا إياه الوحي."

ويقول القس أنيس شروش: "

واحد في ثلاثة، وثلاثة في واحد!؟ سر ليس عليكم أن تفهموه، بل عليكم أن تقبلوه."

ويقول الأب جيمس تد: "العقيدة المسيحية تعلو على فهم العقل!" (١)

ويقول القس توفيق جيد: "إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه، وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها في كفه." (٢)

ولمخالفة عقيدة التثليث للعقل، ولمصادمتها دعوة جميع الأنبياء والرسل من آباء عيسى عليهم السلام ومَن قبلهم، لم يتفق المسيحيون على هذه العقيدة؛ بل افترقوا وتخاصموا، وكفر بعضهم بعضاً بسببها، وتفرقت بهم المسالك، وتشتت بهم المذاهب، فذهب كل منهم في فهم الثالوث مذهباً، وتخبطوا، وخرج كل منهم برأي في ثالوث الله وأقانيمه.

(١) د. منقذ السقار (الله واحد أم ثلاثة) ص ١٥٣.

(٢) (سر الأزل) ص ١١، وعنه: د. محمد مجدي مرجان (الله واحد أم ثالوث) ص ٥٨.

ويمكن القول بأن المسيحيين افترقوا في عقيدة التثليث فريقين:

الفريق الأول:

وهم عامة المسيحيين آمنوا بعقيدة التثليث؛ لاسيما بعد قرار المجمعين ــ محل البحث هنا ــ مجمع نيقية (٣٢٥م) ومجمع القسطنطينية (٣٨١م).

وهؤلاء يصرُّون على هذه العقيدة، ويقولون: إذا كنت معتقداً ومصدقاً بالثالوث المقدس؛ فسوف تكون مخلَّصاً.

وإذا نوقشوا في تفسيرها، وألجئوا إلى تأويلها، قالوا: التثليث سرٌّ مقدسٌ، إنه سرُ الأسرارِ.. ولا يمكن للعقل أن يقف على كنهها، بل يعترف البعض منهم بتعارض المسيحية والعقل، فيقول القديس أوغسطين: "أنا مؤمن، لأن ذلك لا يتفق والعقل" (٣).

ثلاثةٌ في واحد يساوي واحداً هكذا ببساطة، إنه لغز رياضي فحسب! إنه لغز الثالوث الغامض! وقد أُخبر المؤمنون من المسيحيين بهذه العقيدة بواسطة القساوسة، وعليهم أن لا يستعملوا

(٣) المصدر السابق.

الأسباب في فهم هذه المعادلة؛ لأنها نابعة من الكنيسة!. ومن لم يؤمن بها أو يسعى لفهمها سوف يكون رجلاً علمانياً Layman .!.

ومن هؤلاء من يؤمن بالتثليث؛ لكن يجعل الأقانيم متفاوتة في القدر والتعظيم؛ فأعظمها الآب ثم الابن ثم الروح القدس... ومنهم من يعظم أقنوم الابن ويجعله أعظم الأقانيم...! وهذا ظاهر في عمل معظم كتّاب الأناجيل.

ومنهم من يرى أن كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة له نفس خصائص وسلطات الأقنومين الآخرين... وهم متساوون في القدرة والعظمة...!! [1].

ومنهم من يؤلّه المسيح، ويقر بالتثليث؛ لكنهم لا يقولون إن أقنوم الابن مستقل عن أقنوم الآب؛ وهؤلاء وقع الخلاف بينهم في (الإله الإبن)؛ هل هو من طبيعة واحدة إلهية؟ أو من طبيعتين إحداهما إلهية والأخرى إنسانية؟

(١) انظر: المصدر السابق، ولعل هذا الرأي يستند إلى نصوص وردت في بعض الأناجيل، كما في إنجيل يوحنا (٢٩/١٤)، و إنجيل مرقص (٣٢/١٢) وغيرهما.

وهل له مشيئة وإرادة واحدة أو مشيئتان وإرادتان؟!

كما وقع الخلاف بين سائر الطوائف المثلثة من المسيحيين في الأقنوم الثالث (الروح القدس)؛ هل انبثق من الآب فقط؟أو من الآب والابن معاً؟! [2]

وليس هذا موضع التفصيل في هذه المقولات، ولا يحسن — في هذا الموضع — تتبع طوائف المسيحيين القائلين بالتثليث؛ فكلامهم في هذا يفوق الحصر.

والفريق الثاني:

مسيحيون يرفضون التثليث، ويقولون بأن عيسى إنسان ونبي مرسل، وليس إلهاً، وهؤلاء يطلق عليهم: (الموحدون) وقد كانت عقيدة "إنسانية المسيح" غالبةً طيلة مدة تكوُّن الكنيسة الأولى؛ وقد ظهر من الموحدين — من فرق وأشخاص — أعدادٌ كثيرة في مختلف القرون الميلادية حتى عصرنا هذا، وكان من أبرزهم: الفرقة الأبيونية، التي ظهرت في القرن الأول الميلادي،

(٢) سيأتي في المبحث الثالث توضيح موجز هذه القضية.

ونشطت بعد عام (٧٠م) وبإزاء هذه الفرقة ظهر القديس كرنثوس، وفي أواخر القرن الثاني دعا أمونيوس وكربو قراط بأن المسيح إنسان خارق للعادة وأنه كسائر الحكماء!! وفي أواسط القرن الميلادي الثالث ظهرت فرقة البولينية؛ وهم أتباع بولس السميساطي، الذي تولى أسقفية إنطاكية عام (٢٦٠م) كما في بداية القرن الرابع الميلادي عالم مترهب يدعى لوسيان. [1]

وأشهر من عُرف عنه الوقوف ضد اعتقاد ألوهية المسيح، وتأكيد القول بإنسانيته القديس آريُوس (ت ٣٣٦م) [2] ولهذا الأسقف أتباع كثيرون، يطلق عليهم: (الآريوسيون).

وبالجملة فالمعارضون لعقيدة التثليث من المسيحيين كثيرون، وهم بازدياد حتى يومنا هذا، على اختلاف بينهم في التفاصيل، كما أن الصراع بين أصحاب الثالوث لا يزال مستمراً؛ بسبب الاصطدام الحاد بين فطَرٍ جُبلت على التوحيد؛ وظروفٍ فرضت التثليث...!!

(١) انظر في الموحدين وفرقهم: د.أحمد شلبي، المسيحية ص ١٤٠-١٤١، و: حسني الأطير،عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية ص ٥٥-٦٤. وانظر المبحث الثاني من هذا البحث.

(٢) ستأتي ترجمته في المبحث الثاني.

الفصل الثاني

مجمع نيقية، وعلاقته بعقيدة التثليث

المبحث الأول

التعريف بمجمع نيقية

يعتبر مجمع نيقية (Nicaea) أشهر المجامع الكنسية في تاريخ الديانة المسيحية؛ وأخطرها على الإطلاق، والتي يطلق عليها اسم: (المجامع المسكونية)؛ حيث يُدعى إليها رجال الدين المسيحي من سائر كنائس العالم.

وأكثر المؤرخين على أن مجمع نيقية هو أول تلك المجامع المسكونية.

ولذا نعرِّف هذا المجمع من خلال النقاط التالية:

أولاً: مكان انعقاد المجمع، وتاريخه:

انعقد هذا المجمع في نيقية الواقعة شمال غربي آسيا الصغرى، المعروفة اليوم بـ: إزنك التركية، وكانت قريبة من القصر الإمبراطوري لقسطنطين الأول.

وكان عقد هذا المجمع بتاريخ: ٢٠ مايو سنة ٣٢٥ ميلادية.

ثانياً: أعضاء المجمع:

عقد هذا المجمع بأمر الإمبراطور قسطنطين الأول (ت ٣٣٧م) حضره بنفسه، وافتتح اجتماعاته.

وقد حضر هذا المجمع ٣١٨ أسقفاً[(١)] ممثلين لجميع الكنائس، وكان معظمهم من الكنائس الشرقية، وعدد قليل من ممثلي الكنائس الغربية اللاتينية، واختلفت المصادر في تحديد عدد الأساقفة الذين حضروا هذا المجمع، فبعض المصادر تتحدث عن حضور (٢٠٤٨) أسقفاً، ولعل ٣١٨ هم الذين وافقوا على (قانون الإيمان النيقوي)!![(٢)]

---

(١) انظر: اليعقوبي، "تاريخ اليعقوبي" ١٥٣/١. (دار صادر ــ بيروت ــ ١٤١٢هـ) و محمد أبو زهرة، "محاضرات في النصرانية" ص٤٧. (دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٣٨١هـ)

(٢) انظر: عمران محمد سعيد، "معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية" (دار النهضة، بيروت، ١٩٨١م)ص٤٧وما بعدها، و: وسام عبدالعزيز فرج "دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية"ص ١٩. (دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٧م).

المبحث الثاني

سبب انعقاد مجمع نيقية

قبل أن نذكر سبب انعقاد مجمع نيقية يجدر بنا أن نلمح إلى أحداث هامة وقعت قبل الدعوة إلى انعقاد هذا المجمع فأصبحت كإرهاصات أدت إلى انعقاده.

أحداث ما قبل انعقاد المجمع:

بعد أن تربَّع الإمبراطور قسطنطين (ت ٣٣٧م) على عرش الإمبراطورية الرومانية عام (٣١٢م) وكان أول من أظهر الإيمان بالمسيحية مِن أباطرة الرومان، وجعلها الدينَ الرسميَّ للدولة، هنا بدأت مرحلةٌ جديدة من مراحل تاريخ المسيحية، وبلغت أوجَ قوتها، ولذا يطلق مؤرخو الكنيسة على عهد قسطنطين بأنه العهد الذهبي للنصارى (المسيحين)، وانتهى الأمر بتحول الإمبراطورية الرومانية العريقة في وثنيتها إلى إمبراطورية مسيحية، بقررات متتالية صادرة عن الإمبراطور...

يُذكر أن سبب إظهار الإمبراطور الإيمان بالمسيحية ؛ هو أنه رأى أن مملكته ظهر فيها التفكك والاختلاف بسبب ما لحق بالمسيحيين في دولته من التعذيب والتنكيل؛ والذين يقدَّرون بأعداد كبيرة؛ فلضمان بقاء مملكته موحدة قوية؛ أظهر الإيمان بالمسيحية، واتخذها ديناً رسمياً لدولته، وأصدر مرسومه الشهير بـ (إعلان ميلان).

وما أن أطلق قسطنطين (إعلان ميلان سنة ٣١١م) حتى قرَّب المسيحين وأسند إليهم الوظائف الكبيرة في بلاط قصره، وأظهر لهم التسامح، وبنى لهم الكنائس، وزعمت أمه (هيلينا) اكتشاف الصليب المقدس، الذي اتخذه شعاراً لدولته بجانب شعارها الوثني...

فنشطت الدعوة إلى المسيحية، ودخل الكثير من الوثنيين أصحاب الفلسفات في هذه الديانة، مما كان له أثره البالغ في ظهور الكثير من العقائد والآراء المتضاربة، والأناجيل المتناقضة، حيث ظهر أكثر من خمسين إنجيلاً، وكل فرقة تدعي أن إنجيلها هو الصحيح وترفض الأناجيل الأخرى...[(١)]

---

(١) انظر: يوسابيوس القيصري، "تاريخ الكنيسة" ص٤٢٨وما بعدها، و: محمد أبو زهرة، "محاضرات في النصرانية" ص ٣٥، و: د. أحمد شلبي، "المسيحية" ص ١٤٣، و: د.عرفان عبدالحميد، "النصرانية" ص ٦٠.

وظهر قبل انعقاد مجمع نيقية أمر آخر أكثر أهميةً، وهو أن أحد أبرز القديسين ويدعى (آريوس) [١] ـ وكان أسقف الإسكندرية في القرن الرابع الميلادي ـ قد أظهر دعوةً صريحةً بإنسانية المسيح وإنكار ألوهيته، وصار لدعوته تلك صدى كبيراً ولهذا الأسقف أتباع كثيرون، يطلق عليهم: (الآريوسيون).

دعوة آريوس:

يقول آريوس: "الآب وحده الإله الأصلي الواجب الوجود، أما الابن والروح القدس فهما كائنان خلقهما الله في الأزل لكي يكونا وسيطين بينه وبين العالم، وهما متشابهان له في الجوهر ولكن ليس واحداً منهما". [٢]

ويتبين من هذا النص ونحوه أن آريوس يقر بأن الله عز وجل خالق كل شيء بما في ذلك الابن والروح القدس، وأن الآب وحده هو الإله الحقيقي، أما الابن والروح القدس فهما من مخلوقات الآب، وإن كان قد تفضل عليهما بقبس من صفاته وقدراته... [٣].

ولم يكن آريوس وحده من أنكر ألوهية المسيح [٤] لكن جرأته في إظهار رأيه أحدثت أزمة خطيرة على الصعيدين الديني والسياسي في الإمبراطورية البيزنطية، فانقسم رجال الدين والجمهور المسيحي حولها إلى مؤيدين ومعارضين، واستمرت هذه الأزمة أزيد من سنتين (٣١٨-٣٢٠م) وتسببت الدعوة الآريوسية في انقسامات كبيرة، وخلافات خطيرة بين النصارى (المسيحيين).

"لقد كان الجدل حول سر الثالوث الأقدس ينال الدين المسيحي في صميمه، فإن لم يكن المسيح إلهاً فالإيمان المسيحي عبث وباطل !! وإن كان المسيح إلهاً حقاً فكيف تعلل الكثرة في الإله الواحد؟ ... وإن كان المسيح إلهاً حقاً فكيف يكون إنساناً حقاً في الوقت نفسه؟... " [١]

وكيف التوفيق بين التوحيد الذي جاهر به المسيحيون الأول من الحواريين والرسل وبين الإيمان بأن المسيح إله، وأن الروح القدس إله؟!!

قسطنطين من دعوة آريوس، قبل انعقاد المجمع:

عندما اشتد الخلاف بين المسيحيين في دولة الإمبراطور "قسطنطين" بسبب الدعوة التي أعلنها القديس آريوس، خاف قسطنطين أن يؤثر ذلك على استقرار دولته، وأراد وضع حد للخلاف الذي اشتد حول ألوهية المسيح... وكان قسطنطين في بداية الأمر قد انحاز إلى جانب آريوس، لكن ما لبث أن عاد فوقف إلى جانب المعارضين لدعوة آريوس من رجال الكنيسة، وربما كان سبب ذلك: أن معظم أفراد المجتمع في الإمبراطورية كانت لديهم عقائد توارثوها عن مذاهب سابقة فيها بذور التثليث؛ فرأى الإمبراطور بأن إقرار عقيدة التثليث أقرب إلى تحقيق الاستقرار لدولته، وفيه إرضاء للعامة من الشعب ... [٢]

---

(١) آريوس: يعتبر مؤسس الفرقة الآريوسية، وهو أشهر دعاة التوحيد في تاريخ المسيحية، ولد في ليبيا في القيروان سنة ٢٧٠م، ثم قدم أنطاكية، ومنها إلى الإسكندرية حيث رسمه الباب بطرس بطريرك الإسكندرية شماساً سنة ٣٠٧م ولم يلبث أن أصبح قساً ... انظر: منسي يوحنا، "تاريخ الكنيسة القبطية" ص١٣٧، و: زكي شنودة، "تاريخ الأقباط" ١٥٢/١ و: القمص كيرلس الأنطوني، "عصر المجامع" ص٣٢.

(٢) (الله واحد أم ثالوث) ص ٣٢ ـ ٣٣، د. محمد مرجان.

(٣) المصدر السابق.

(٤) منهم: (برنابا) وهو من الحواريين، و(ديودوروس) أسقف طرطوس. و (بولس السميساطي) وكان بطريركا في أنطاكية ووافقه على مذهبه التوحيدي كثيرون و عرفوا بالفرقة (البوليقانية) و الأسقف (لوسيان) الأنطاكي أستاذ آريوس، و (يوزيبيوس النيقوميدي) أسقف بيروت ثم نُقل لنيقوميديا عاصمة الإمبراطورية الشرقية، و كان من أتباع لوسيان الأنطاكي و من أصدقاء آريوس...ذكر هؤلاء وغيرهم البروفيسور الهندي الدكتور محمد عطاء الرحيم في كتابه القيِّم المسمى: " عيسى يبشّر بالإسلام " ، ترجمة فهمي الشما، وقد ذكر فيه مؤلفه الفرق المسيحية الموحدة القديمة و تحدث في فصل كامل عن أعلام الموحدين في المسيحية، استوعب فيها أسماءهم و تراجمهم و كتاباتهم و دلائلهم على التوحيد و أحوالهم وما لاقوه من اضطهاد ومحاربة في سبيل عقيدتهم. وانظر: يوسابيوس القيصري "تاريخ الكنيسة" الفصل ٢٧، ٣١، وما بعده.

(١) لويس غارديه، وجورج قنواتي: "فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية" ٢٨٢/٢، وعنه: د.عرفان عبدالحميد "النصرانية" ص٨٤.

(٢) انظر: عمران محمد سعيد، "معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية" ص ٢١٠ وراجع ما ذكره: علي خان مرجان في كتابه:(لغز الثالوث المقدس) ص١٩٦-١٩٧ و(الله واحد أم ثالوث) ص ٦٦-٦٨.

سبب انعقاد المجمع:

مما تقدم يتبين أن السبب الرئيس لانعقاد مجمع نيقية هو: وضع حد للخلاف الذي وقع بين رجال الدين المسيحي فيما يتعلق بألوهية المسيح، وإلزام المخالفين بالانصياع لما يُتفق عليه في المجمع...!!

ولقد لقيت دعوةُ الإمبراطور قسطنطين رواجاً لدى رجال الدين المسيحي؛ لما عانوه من نزاعات بينهم في قضايا تتعلق بالتثليث؛ والتي كانت مثار جدل كبير في الكنيسة؛ وأبرزها ـــ بحسب القس: جيمس أنس ـــ:

"١ــ إزالة الاختلاف حول الألفاظ المستعملة للتعبير عن (الثالوث الأقدس).

٢ــ الرد على الضلالات في بعض أجزاء الكنيسة بخصوص مسألة (الثالوث الأقدس).

٣ــ تحديد نص عقيدة التثليث لتشمل كل التعليم الجوهري في الكتاب المقدس، موافقاً للوحي الإلهي، ولاعتقاد المؤمنين."[1]

وهكذا يتفق الباحثون في تاريخ الكنيسة بأن دعوة آريوس ومن وافقه المناهضةَ لما يسمى بـ (الثالوث الأقدس) هي السبب الرئيس للدعوة لعقد مجمع نيقية.

(١) القس جيمس أنس، "علم اللاهوت النظامي"ص ١٧٦.

المبحث الثالث

أهم قرارات المجمع النيقاوي

كان الاتجاه المسيحي العام في القرنين الثاني والثالث منحازاً إلى توكيد إنسانية المسيح عليه السلام مطلقاً، أما في القرن الرابع فكان عصر التوكيد على ألوهيته، والرد على منكريها من القائلين بإنسانيته، من أمثال: آريوس، ونسطوريوس وغيرهما، ثم تدخلت السلطة السياسية المتنصِّرة، بزعم فضِّ النزاعات وتلافي الانشقاقات في صفوف الجمهور المسيحي...! بطريق المجامع الدينية المتابعة، والذي كان أولُها وأخطرُها المجمعَ النيقاوي.

وقد كان المجمع النيقاوي منصباً على مناقشة رأي القديس آريوس ودعواه، وبعد مناقشات دامت قرابة شهرين؛ بين المؤيدين والمعارضين لآريوس؛ خرج المجمع النيقاوي بقرار ينص على التسوية بين الابن والآب في الذات والجوهر، والإقرار بأن المسيح إله وإنسان في آن واحد!

ولجأ المجمع بإصدار قانونٍ بهذا الشأن، عُرف بـــ (قانون الإيمان النيقوي)، ونصه ما يلي:

(نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالقِ كلِّ الأشياء؛ ما يُرى وما لا يُرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسَّد وتأنس وتألم، وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وهو جالس عن يمين الآب وسيأتي أيضاً بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه ونؤمن بالروح القدس.

وكل الذين يقولون: إنه كان زمنٌ لم يكن فيه. و: أنه لم يكن قبل أن يولد. و: أنه مخلوق من عدم. فإن الكنيسة تحكم عليهم بالحرمان والطرد.)[1]

(١) انظر النص في: الشهرستاني، "الملل والنحل" ٢٠٤/١، و: جيمس أنَس، "علم اللاهوت النظامي" ص ١٠٠-١٠١َ فقد ذكر له ثلاث صور. وقارن مع: لويس غارديه، وجورج قنواتي "فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية" ٣٦٣/٢.وانظر: تقي الدين الجعفري "التخجيل =

ونص الإيمان هذا لم يَسلَم من النزاع في بعض عباراته.[1] لكنه ـــ على أية حال ـــ يدل على أن المجمع قد ارتضى القول بألوهية المسيح، وأشار إلى عقيدة التثليث، لكنه توقف في ألوهية الروح القدس، ويبدو أن المعارضة على ألوهيته أشد، فاكتفى النص النيقوي بالقول: "ونؤمن بالروح القدس" دون التصريح بألوهيته.!

ثم جاء في آخر النص: " وكل الذين يقولون: إنه كان زمنٌ لم يكن فيه ..." يعني الذين يقولون عن المسيح ... والنص يصرِّح بالحرمان والطرد لكل من قال بأن المسيح مخلوق من العدم، وأنه وُجد بعد أن لم يكن موجوداً.

فالمجمع إذاً خرج بنتيجتين تتعلقان بعقيدة التثليث؛ هما:

١ـــ إقرار عقيدة ألوهية المسيح.

٢ـــ أن ما ادعاه القديس آريوس من إنسانية المسيح بدعةٌ، وأن آريوس ومن تبعه على مذهبه مبتدعون مهرطقون ويجب حرمانهم وطردهم.

وهكذا تم الإقرار النهائي الذي كرَّس عقيدة التثليث، والتي دافع عنها أثناسيوس الاسكندري بضراوة بالغة: "جوهر واحد وثلاثة أقانيم"...!!.

وتم التوقيع على قانون المجمع، والذي سمي بـ (قانون الإيمان النيقاوي) من قبل المجتمعين عدا آريوس ومن وافقه، وكانوا كما يذكر بعض المؤرخين المعتدلين بأنهم عدد كبير، بينما يزعم بعض المؤرخين من المسيحيين بأنهم حفنة قليلة.!!

لكن المجمع واجه صعوبات فيما يتعلق بالاتفاق على الألفاظ المستخدمة للتعبير عن عقيدة التثليث، فاختلف المجتمعون في معنى الكلمة المترجمة (أقنوم)، ومعنى التعبير المترجم (مساوٍ في الجوهر). وكذلك واجه المجمع صعوبة بالتواجد الكبير للقائلين بإنسانية المسيح وإنكار ألوهيته؛ وأبرزهم الآريوسيون.

وللمجمع قرارات أخرى انحرفت بالديانة المسيحية كثيراً، ليس هذا محل بحثها.

=لمن حرف الإنجيل" ص٢٨٧.

(1) انظر: القس جيمس إنس "علم اللاهوت النظامي" ص١٠٠-١٠١.

الفصل الثالث

مجمع القسطنطينية، وعلاقته بعقيدة التثليث

المبحث الأول

التعريف بمجمع القسطنطينية

ظن الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول، رأس السلطة الزمنية؛ بأنه بفرضه ما تقرر في مجمع نيقية، ونفيه لآريوس ومناصريه؛ سيضمن وحدة الكنيسة، وسيوقف الصراعات والنزاعات القائمة بين المؤلهين للمسيح، والقائلين بإنسانيته...

لكن الفوضى العقدية ما لبثت أن انتشرت وظهرت الفجوة بين الغرب اللاتيني ومصر المتشبثين بقرارات نيقية من جهة، وبين الشرق البيزنطي الذي يرى بأن التمسكَ بعبارة التساوي مع الآب في الذات والجوهر بدعةٌ غيرُ مقبولة من جهة ثانية، ولم تمض ثلاث سنوات على انعقاد المجمع المسكوني الأول مجمع نيقية حتى انقلب الإمبراطور على النيقيين، ودعا آريوس وأتباعه من منفاهم، وأرجعهم إلى مناصبهم، بعد إعلانهم عن عقائد لا تخلو من اللبس، وبقي على تأييده لهم حتى آخر عهده!![1]

وخلال الخمسين سنة التالية لمؤتمر نيقية اشتدت الخصومات، واندلعت النزاعات العنيفة حول القبول بقانون الإيمان الصادر عن المجمع النيقاوي وإعادة تفسير قراراته... وقد شهدت هذه الفترة عقد مجامع محلية عديدة، وصدرت بيانات عقدية متعددة، تتناقض في مضامينها، مما حمل الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (٣٧٨- ٣٩٥م) على الدعوة إلى عقد مؤتمر ديني مسكوني...والذي عُرف بـ: (مجمع القسطنطينية)

وبهذا يعتبر مجمع القسطنطينية ثاني المجامع المسكونية، وأشهرها بعد مجمع نيقية، ولعلنا نتعرف على هذا المجمع من خلال النقاط التالية:

أولاً: مكان انعقاد المجمع، وتاريخه:

انعقد هذا المجمع في مدينة

(1) عبدالمجيد الشرفي، "الفكر الإسلامي في الرد على النصارى" ص٨٨، وعنه: د.عرفان عبدالحميد، النصرانية ص٨٨.

القسطنطينية (١) سنة ٣٨١م، وبالتحديد في شهر مايو.

ثانياً: أعضاء المجمع:

دعا إلى هذا المجمع الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الأول.

وترأس المجمع : البابا السكندري الأنبا تيموثاوس.

وحضر المجمع ١٥٠ أسقفاً شرقياً. ولم يحضره أحد من أساقفة الغرب!! بل حتى دوماسوس أسقف روما لم يحضر، ولم يرسل عنه نوابا، غير أنه — كما قيل — قبل بكل قرارات هذا المجمع!.

(١) مدينة القسطنطينية هي بيزنطة القديمة التي تأسست عام ٦٥٧ ق.م، وأقام الإمبراطور قسطنطين الكبير على أنقاضها العاصمة الجديدة لإمبراطوريته الرومانية الشرقية عام ٣٢٤م وأسماها باسمه- وإنقسمت الدولة الرومانية إلى إمبراطوريتين : غربية وعاصمتها روما، وشرقية وعاصمتها القسطنطينية- وهى حالياً مدينة إسطنبول التركية. انظر: وسام عبدالعزيز فرج "دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية".

المبحث الثاني
سبب انعقاد مجمع القسطنطينية

تقدم بأن الخلافات في عقيدة (الثالوث الأقدس) كانت على أشدها، لا سيما بعد إصدار مجمع نيقية لقانون الإيمان، الذي كثُر الشغب عليه من قبل الآريوسيين أتباع القديس آريوس الذين تمكنوا سنوات طويلة خاصة في عهد الإمبراطور قسطنطين الأول؛ الذي ما لبث أن رجع إلى رأي آريوس (٢) متجاهلا قرار مجمع نيقية الذي أمر بعقده هو!! لقد كان ذلك — بلا شك — نقطة تحول كبيرة في حياة الموحدين من الآريوسيين ونحوهم ممن ينتقد مبدأ المساواة بين الآب والابن و الروح القدس...

كما توالت انتقادات علماء الدين النصراني في ذلك الوقت لقانون الإيمان النيقاوي، واختلفت آراؤهم في تفسير كثير من العبارات الواردة فيه...

وكذلك فإن القانون النيقاوي مع

(٢) انظر: ابن حزم، "الفصل في الملل" ٤٧/١، و: أ. ل. بتشر "تاريخ الأمة القبطية" ص ٢٢٠ وما بعدها.

تكريسه لعقيدة (الثالوث الأقدس)، إلا أنه لم يقطع بحقيقة الاعتقاد في روح القدس، بل توقف القانون عند قوله: "ونؤمن بالروح القدس" مما أدخل الكثيرين من المسيحيين في جدال حاد في حقيقة الإيمان بالروح القدس، وكيف ينتظم مع عقيدة التثليث.؟؟ بل قيل إن القانون النيقاوي نص على "ترك الحرية للناس في الاختلاف على الروح القدس"!!

فلم يشأ متخذو القرار النيقاوي أن يقولوا بالثالوث جملةً واحدة؛ بل اكتفوا بإعلان ألوهية المسيح، وتركوا إعلان ألوهية الروح القدس موضع خلاف بين الناس فلم يثبتوها، ولم ينفوها؛ بل أجّلوها حتى يستقر المبدأ الأقوى وهو: أولوهية المسيح، ثم يكملوا بعد ذلك إعلان ألوهية الروح القدس حتى تكتمل عقيدة (الثالوث الأقدس)..!!(١)

وكان من أشهر الذين صرَّحوا بأن (الروح القدس) مخلوق، وُجد بعد عدم، ونَفَوا الوهيته؛ القديسُ (ماسيدونيوس) أو (مقدونيوس)؛ الذي رُسم بطريركا لكرسي القسطنطينية عام ٣٤٣م، وكان يقول بأن الروح القدس مخلوقٌ فائضٌ عن الله، خادمٌ للابن كأحد الملائكة.. لكنَّ القيصر قسطنيس طرده من كرسيه عام ٣٦٠م، ونفاه، حتى توفي، لكنَّ رأيه في الروح القدس لم ينته؛ بل استمرَّ بعد موته وامتدتْ آراؤه في أديرة كثير من المسيحيين...

ومهما يكن فإن الآريوسيين الذين قالوا: بأن الابن جاء من العدم. من باب أولى أن يعتقدوا بأن الروح القدس — أيضاً — مخلوق، وهذا يزيد من أعداد المناهضين لعقيدة التثليث؛ التي لقيت معارضات كبيرة آنذاك.

كما أعلن (أسابيوس) إنكار الأقانيم الثلاثة، وقال بأن للثالوث ذاتاً واحدة وأقنوماً واحداً، وكان ذلك كله داعيا إلى عقد مجمع جديد يبت في الأمر.

ومن هنا يتبين بأن السبب الرئيس لعقد مجمع القسطنطينية هو:

الاتفاق على قانونٍ إيمانيٍ ينص على ألوهية (الروح القدس) واستكمال (الثالوث الأقدس). واتخاذ موقف حازم مع الذين أنكروا ألوهيته، وقالوا بأنه مخلوق فائض من الآب.

(١) انظر: د. أحمد شلبي، "المسيحية" ص١٥١.

المبحث الثالث

أهم قرارات مجمع القسطنطينية

لقد آن الأوان بأن يُعلن (الثالوث الأقدس).

وفي هذا المجمع الذي لم يحضرْه إلا (١٥٠) أسقفاً فقط؛ كلهم من الكنائس الشرقية!! أراد المجتمعون أن يخرجوا بقرار يؤكد على ما تم إقراره في مجمع نيقية، حتى لا يُلتفت إلى أولئك الذين تنكّبوا له وعارضوه، وكذلك يتم فيه استكمال الإعلان عن أقانيم (الثالوث الأقدس) وذلك بالنص على ألوهية الروح القدس!!

وبالفعل تم إصدار قانون الإيمان لهذا المجمع، وقد نص القانون على تأييد القانون النيقاوي؛ وزاد عليه العبارات الخاصة بالروح القدس، وقد جاء نصه كاملاً كما يلي:

(نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالقِ كل الأشياء؛ ما يُرى وما لا يُرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسّد وتأنس وتألم، وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وهو جالس عن يمين الآب وسيأتي أيضاً بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه.

ونؤمن بالروح القدس، الربُ المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء...)(١)

هكذا زيدت عبارة: "الرب المحيي ...الخ" على القانون النيقاوي، والذي يعتقد المجتمعون أنهم أبطلوا بذلك القول بأن الروح القدس مخلوق، ليتم لهم إكمال الأقانيم الثلاثة للثالوث الأقدس!!

كما أصدر المجمع الطرد والحرمان لمقدونيوس وأوسابيوس وغيرهما من الذين قالوا بأن الروح القدس مخلوق.

---

(١) انظر النص في: الشهرستاني، "الملل والنحل" ٢٠٤/١، و: جيمس أنس، "علم اللاهوت النظامي" ص ١٠٠-١٠١ فقد ذكر له ثلاث صور. وقارن مع: لويس غارديه، وجورج قنواتي "فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية" ٣٦٣/٢.

ومرةً أخرى فُرض هذا القرار فرضاً على المسيحيين، وعُذب ولُعن من خالفه، وحُرم من الوظائف وصُودرت آراؤه وقُتلت.(١) والعجيب أنه قد قيل بأن هذا المجمع لم يتم الاعتراف به كمجمع مسكوني إلا في القرن الخامس الميلادي عندما أقرت به روما.!!

فالمجمع خرج بقرارات؛ كان أهمها على الإطلاق قرارين؛ هما:

١ـ التمسك بدستور إيمان مجمع نيقية (القانون النيقاوي) ورفض كل التعاليم الغريبة عنه.

٢ـ النص على ألوهية الروح القدس من خلال قانون الإيمان.

بالإضافة إلى تبديع كل من خالف شيئاً من قرارات المجمعين المسكونيين، مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية حول عقيدة التثليث.

---

(١) انظر: د. أحمد شلبي، "المسيحية" ص١٥٣.

الفصل الرابع

المقارنة بين ما تقرر في المجمعين، حول عقيدة التثليث

توطئة:

أردت بعقد هذا المبحث أن أبين أوجه الموافقة والمفارقة بين المجمعين مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية، وما أثر قرارهما على (عقيدة التثليث).

ولعل أبرز ما يمكن ذكره من ذلك حول المجمعين؛ ما يلي:

أولاً: أن المجمعين اتفقا بأنهما انعقدا بأمر الإمبراطور الروماني، رمز السلطة الزمنية آنذاك، فمجمع نيقية انعقد بأمر الإمبراطور قسطنطين الأول، ومجمع القسطنطينية عُقد بأمر الإمبراطور ثيودوسيوس الأول.

ثانياً: أن الذين حضروا مجمع نيقية كان معظمهم من آباء الكنيسة الشرقية، وقليل من الكنيسة الغربية، أما مجمع القسطنطينية فلم يحضره ممثل عن الكنيسة الغربية.!!

ثالثاً: أن المجمعين اتفقا في الدافع إلى الاجتماع؛ فمجمع نيقية كان دافعه ظهورَ الدعوة إلى إنكار ألوهية المسيح،

ومجمع القسطنطينية كان دافعه إنكارَ ألوهية الروح القدس.

رابعاً: أن المجمعين اتفقا في عدم التصريح بتفاصيل هامة تتعلق بما أقرَّاه من اعتقاد ألوهية المسيح والروح القدس... فمجمع نيقية ذكر الإيمان بالروح القدس إشارةً منه إلى (التثليث)، ولم يصرح بحقيقته والأعمال الموكولة إليه... ومجمع القسطنطينية نص على اعتقاد ألوهية الروح القدس، وبعض صفاته...ولم يصرح بألوهيته كتصريح مجمع نيقية بأن المسيح "إله حق من إله حق"!!

نعم لم يتعرض المجمعان إلى تفصيل مهم يتعلق بالمسيح والروح القدس؛ والذي كان مثار جدل كبير بين المسيحيين لم يُحسم حتى اليوم؛ وهو اختلافهم في طبيعة المسيح؛ هل هو ذو طبيعتين ومشيئتين إلهية وإنسانية، أم ذو طبيعة واحدة ومشيئة واحدة إلهية أو إنسانية؟ واختلافهم في انبثاق الروح القدس؛ هل انبثق من الآب فقط كما نص عليه قانون الإيمان القسطنطيني؟ أو انبثق من الآب والابن معاً؟

خامساً: أن المجمعين اتفقا بأنهما لم يكن فيهما حرية النقاش وإبداء الرأي، بل انعقدا لاتخاذ قرار معدٍّ قبل الاجتماع... ولم يُلتفت إلى مخالفة المخالفين، بل طُردوا وحُرموا... وتمت مصادرة آرائهم.

سادساً: أن القرارات الصادرة من المجمعين فُرضت فرضاً بقوة نفوذ الآباء المؤيَّدين بالسلطة الزمانية...!!

نتيجة قرارات المجمعين

اتفق المجمعان على تكريس عقيدة التثليث، ووأدِ كلِّ فكرة أو رأي يخالف هذه العقيدة؛ ولعلنا نلخص نتيجة ما تم في كل مجمع حول عقيدة التثليث، ثم نقارن بينهما.

نتيجة مجمع نيقية حول عقيدة التثليث:

خرج المجمع بقرار جريء يصرِّح بألوهية المسيح، ويؤكد على عقيدة التثليث، دون تفصيل حول الأقنوم الثالث من أقانيم (الثالوث الأقدس) وهو: الروح القدس.

نتيجة مجمع القسطنطينية حول عقيدة التثليث:

أقرَّ المجمع ما جاء في قانون الإيمان

النيقاوي من التصريح بألوهية المسيح، وصرح بألوهية الروح القدس، لتتم بذلك عقيدة التثليث.

المقارنة بين النتيجتين:

الحق أن مجمع القسطنطينية ما هو إلا مكمِّل لما تم في مجمع نيقية.

ولذا فإننا لا نجد اختلافاً في النتيجة التي توصل إليها المجمعان، بيد أن (قانون الإيمان النيقوي) كان أشد أثراً وأصرح تعبيراً، ذلك أن (القانون القسطنطيني) لم يصرح بألوهية الروح القدس كتصريح مجمع نيقية بألوهية المسيح؛ لكنه استعمل عبارات توحي بذلك، ولو على حد رأي راسميه، يؤكده ما تم من طرد المنكرين لألوهية الروح القدس أمثال مقدونيوس، وحينئذ فقد استكمل المجمعان اعتماد (الثالوث المقدس)...!!

المقارنة بين نتيجة المجمعين وما جاء بعدهما من المجامع المتصلة بعقيدة التثليث:

لعل من المفيد أن نقارن بين ما تم في المجمعين المسكونيين الأول والثاني حول عقيدة التثليث؛ وبين ما أقرته المجامع التالية لها حول هذه العقيدة؛ ليتبين بذلك خطورة المجمعين مجمع نيقية والقسطنطينية فيما يتعلق بعقيدة التثليث.

فكل المجامع التي تلت ذينك المجمعين تُقرر ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس، لكنها كانت تنعقد لبحث أمور تفصيلية حول طبيعة المسيح، وقضية انبثاق الروح القدس من الآب أو الابن، وكان من أشهرها:

مجمع أفسس الأول (٤٣١م) المجمع المسكوني الثالث في تاريخ المسيحية؛ الذي أكد على اعتقاد ألوهية المسيح لكنه قرر بأن المسيح ذو طبيعة واحدة وهي الطبيعة الإلهية.

ثم عقد مجمع خلقدونية (٤٥١م) المجمع المسكوني الرابع؛ والذي نُقض فيه ما تقرر في مجمع أفسس الأول من أن المسيح ذو طبيعة واحدة، فخرج بقرار بأن المسيح ذو طبيعتين لاهوتية وناسوتية.!!

ثم عقد مجمع طليطلة (٥٨٩م) والذي قُرر فيه بأن الروح القدس منبثق من الآب ـ كما قرره مجمع القسطنطينية ـ ومن الابن ـ أيضاً ـ!

وفي مجمع القسطنطينية الثالث عام (٦٨٠م) تقرر فيه بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، ولعن وطرد من يقول بالطبيعة الواحدة أو بالمشيئة الواحدة...!!.

ونظراً لاتباع الهوى، وترك التشريع للرجال والمجامع ظهر التضارب في آراء الكنيسة، والانقسام في صفوفها، فما يُقر في مجمع يُنقض في آخر، وفي كلتا الحالتين يأخذ صفة الحكم الإلهي...

وبهذا يتبين بأن مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية كانا أخطر المجامع المسكونية على الإطلاق، وأن ما تلاهما من المجامع لم تكن إلا تأييداً لما تقرر فيهما حول عقيدة التثليث.

ولذا كان إفرادهما بالدراسة والتحليل الموضوعي؛ له فائدة كبيرة للمشتغلين بمقارنة الأديان؛ لا سيما المتخصصين بدراسة الملة المسيحية، ولعل هذا البحث فيه إسهام في هذا المجال؛ الذي أحسب أنه بحاجة إلى مزيد من الدراسات والأبحاث. والله الهادي إلى سواء السبيل.

والحمد لله الواحد الأحد، وأشهد أنه لا إله غيره ولا رب سواه.

الخاتمة

أبرز النتائج والتوصيات:

توصل الباحث إلى النتائج والتوصيات التالية:

١- حقيقة التثليث عند النصارى — حتى اليوم — تعني: الإيمان بألوهية الآب، والابن والروح القدس.

٢- أن عقيدة التثليث عند النصارى لم تظهر إلا بعد عصر المسيح عليه السلام والحواريين، بل لم يُعرف من استعمل لفظة (التثليث) إلا في القرن الثالث الميلادي.

٣- أنه منذ فجر تاريخ الديانة المسيحية وُجد من بين النصارى من ينكر عقيدة التثليث؛ وينكر القول بألوهية المسيح وألوهية الروح القدس، ولا يزالون موجودين إلى يومنا هذا.

٤- خطورة المجامع المسكونية؛ التي ابتدعها رجال الكهنوت، وأضفوا على قرارها صفة القدسية، وأوعزوا إلى جمهور المسيحين أنها تستمد قوانينها من الكتب المقدسة...

٥- أن المجامع المسكونية

الأشد خطراً على عقائد النصارى إنما انعقدت بالقوة السُّلطوية في ذلك الزمن، ولم يكن سبب انعقادها ذاتيًا نابعًا من الأساقفة أنفسهم، كمجمع نيقية (٣٢٥م) والقسطنطينية (٣٨١م) وأفسس الأول (٤٣١م) وأفسس الثاني (٤٤٩م) فكلها انعقدت بأمر الإمبراطور الروماني!! وهذا يخلُّ في مصداقيتها؛ حيث اُستخدمت أداةً للكسب السياسي؛ كما أقرَّ بذلك عدد من مؤرخي الكنيسة؛ منهم القس زكي شنودة في كتابه "تاريخ الأقباط" الذي أكد بأن تلك المجامع أصبحت أداةً " في يد الإمبراطور لتنفيذ أغراضه، مستغلاً في ذلك مطامع الأساقفة وطموحهم إلى الجاه والنفوذ والسلطان ، وهكذا أصبحت المجامع أداة هدم بعد أن كانت أداة بناء، وقد فتحت الباب على مصراعيه للخصومة بين المسيحيين في البلاد المختلفة "، وشهد شاهد من أهلها.

٦- أن مجمع نيقية والقسطنطينية هما أخطر المجامع المسكونية، وأما المجامع التي جاءت بعدها فلم تكن إلا لمناقشة بعض التفاصيل والفروع لما أُقر في ذينك المجمعين.

٧- أن قرارات مجمع نيقية لم تُتخذ بناء على دلائل وبراهين يسلّم بها المخالف، ويقتنع بها الموافق، بدليل أن الملك الروماني غيَّر رأيه ورجع إلى رأي أريوس، فعقد مجمعا آخر – مجمع صور سنة ٣٣٤م – رجع فيه عن القول بألوهية المسيح، وقرر فيه إعادة أريوس إلى الكنيسة وخلع " أثناسيوس " الذي كان من أشدِّ أنصار قرارات مجمع نيقية، وبهذا يتبين مدى تلاعب الإمبراطور بهذا المجمع المهم في تاريخ المسيحية ، ويتبين مدى خلوِّ تلك المجامع عن منطق الحجة والدليل في إقناع المخالف، واعتمادهم على قوة سلطة الحاكم في ترجيح الآراء، وذلك في أعظم القضايا وأخطرها.

٨- أن النصارى لا يزالون مختلفين بشأن عقيدة التثليث، مما جعلهم طوائف شتى، ويكفر بعضهم بعضاً.

٩- أن على الدعاة إلى الله أن يركزوا في دعوتهم للمسيحيين على أولئك الذين لا يقرّون بعقيدة التثليث، وهم كثير، ويجعلوا ذلك طريقاً لدعوتهم إلى التوحيد الخالص الذي جاء به نبي الله عيسى عليه السلام، فهؤلاء أقرب إلى

تقبل دعوة التوحيد من المثلثين.

١٠- أن طوائف الموحدين من النصارى (Monarchians) المنكرين لتأليه المسيح؛ بحاجة إلى مزيد من الدراسات والأبحاث العلمية؛ فهؤلاء تعرضوا إلى الظلم والافتراء من قبل المسيحيين المثلثين، وإلى التجاهل من قبل المسلمين. كما أشار إلى ذلك الأستاذ حسني الأطير في كتابه "عقائد النصارى الموحدين" ص٣.

أهم مراجع البحث ومصادره

١- ل. بتشر، "تاريخ الأمة القبطية"، ط: مطبعة مصر بالفجالة، ١٩٠٠م.

٢- أبو رائطة التكريتي، "الثالوث المقدس"، دراسة ونص: الأب سليم دكاش، نشر: دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٣- د. أحمد حجازي السقا "أقانيم النصارى"، مكتبة النافذة، مصر، ط١، ٢٠٠٦م.

٤- د.أحمد شلبي، "المسيحية"، نشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٩٠م.

٥- تقي الدين الجعفري "التخجيل لمن حرف الإنجيل" دراسة: خالد محمد عبده، نشر: مكتبة النافذة، مصر، ط١، ٢٠٠٦م.

٦- ثروة سعبد، "حقيقة التجسد"، ط١، القاهرة، بدون تاريخ.

٧- جوش ماكدويل، وبارت لارسون، "حقيقة لاهوت يسوع

المسيح"، ترجمة: سمير الشوملي، نشر: جمعية الكتاب المقدس بالسودان.

٨- القس: جيمس أنس، "علم اللاهوت النظامي"، نشر:الكنيسة الإنجيلية بمصر القاهرة، بدون تاريخ.

٩- حسني يوسف الأطير، "عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية"، نشر: مكتبة النافذة، مصر،ط٣، ٢٠٠٤م.

١٠- "دائرة المعارف الكتابية" (الإلكترونية) بإشراف مجموعة من أساتذة اللاهوت.

١١- زكي شنودة، "تاريخ الأقباط"، ط: مطبعة التقدم، القاهرة، بلا تاريخ.

١٢- شار جنيبير، "المسيحية نشأتها وتطورها"، ترجمة: د. عبدالحليم محمود، ط دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

١٣- د.عرفان عبدالحيد فتاح، "النصرانية ــ نشأتها التاريخية، وأصول عقائدها"، دار عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.

١٤- علي بن أحمد ابن حزم الظاهري، "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٥- علي خان جومان، "الكتاب المقدس، كلمة الله أم كلمة البشر"، ترجمة: رمضان الصفناوي، مكتبة النافذة، مصر،ط١، ٢٠٠٧م.

١٦- علي خان جومان، "لغز الثالوث المقدس" ترجمة: رمضان الصفناوي، مكتبة النافذة، مصر،ط١، ٢٠٠٧م.

١٧- عمران محمد سعيد، "معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية" (دار النهضة، بيروت، ١٩٨١م)

١٨- الشيخ محمد أبو زهرة، "محاضرات في النصرانية"، ط: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦١م.

١٩- محمد طاهر التنير، "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية"، تحقيق: د.أحمد السايح وتوفيق وهبة، مكتبة النافذة، مصر، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٠- محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، "الملل والنحل"،نشر: دار

المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

٢١- محمد عزت الطهطاوي، "النصرانية والإسلام"، مكتبة النافذة، مصر، ط٤، ٢٠٠٤م.

٢٢- د.محمد مجدي مرجان، "الله واحد أم ثالوث"، مكتبة النافذة، مصر، ط٢، ٢٠٠٤م.

٢٣- د.محمد مجدي مرجان، "المسيح إنسان أم إله؟" نشر: مكتبة النافذة، مصر،ط٢، ٢٠٠٤م.

٢٤- د. منقذ السقار، "الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟"، مكتبة النافذة، مصر،ط١، ٢٠٠٦م.

٢٥- هنري بولاد، "منطق الثالوث"، ط٤، دار الشروق بيروت، بلا تاريخ.

٢٦- وسام عبدالعزيز فرج "دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية" (دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٧م).

٢٧- يوسابيوس القيصري، "تاريخ الكنيسة"، ترجمة: القمص مرقس داود، نشر: مكتبة المحبة، القاهرة.

٢٨- يوحنا داربي، مجموعة (collected writing) طبعة موريش، لندن.

فهرس الموضوعات